﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا نجّى اللهُ إبراهيمَ من قومه؛ ضمّ إليه لوطًا في النّجاةِ

لَمّا كانَ إنجاءُ اللّه لإبراهيمَ ﷺ - وهو وحده - ممَّن أرادوا به هذا الأمرَ العظيم من العجائب، فكيفَ إذا انضمَّ إليه غيرُه، ولم يكن في الآخرين آيةٌ تمنعُهم عنه، كما كان في إبراهيمَ ﷺ؛ فقال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ بعظمتِنا ﴿وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ الَّتي باركناها بالخيراتِ الدُّنيويَّة والدّينية، وهي أرضُ الشّام[1]، فالجَمْع بين إبراهيم ولوط في هذه النجاة جعل هذه الآية كأنها من تمام ما قبلها، فألَّفَ ذلك بينهما تأليفًا قويًّا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَٰرَكۡنَا﴾: (برك) أصلٌ واحد، وهو ثباتُ الشَّيء، ثمَّ يتفرَّعُ فروعًا يقاربُ بعضُها بعضًا، ومنها: البرَكةُ: وهي من الزّيادةِ والنَّماء، والتَّبريكُ: أن تدعُوَ بالبَركة[2]، والبَركةُ: ثبوتُ الخيرِ الإلهيِّ في الشَّيء، قال تعالى: ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ﴾ [الأعراف: 96]، وسُمّي بذلك لثبوتِ الخير فيه ثبوتَ الماءِ في البِرْكة[3]، وقوله تعالى: ﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾؛ أيْ: بالخِصبِ وكثرةِ الأشجارِ والثّمارِ والأنهار، ومنها بُعِثَ أكثرُ الأنبياء[4].

2) ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: (علم) أصلٌ صحيحٌ واحد يدلّ على أثرٍ بالشَّيء يتميَّز به عن غيره، ومن الباب: العالمون؛ ذلك أنَّ كلَّ جِنْسٍ من الخَلْق فهو في نَفسه مَعْلَمٌ وعَلَمٌ[5]، والعالَمُ: الخَلْق، والجمعُ: العَوالِم، والعالمون:

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 447 - 448.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برك).
(3) الأزهري، تهذيب اللّغة: 10/ 230 - 231، والرّاغب، المُفردات: (برك).
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 715 - 716، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 568.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (علم).

أصنافُ الخَلْق من الملائكةِ والجنِّ والإنسِ دون غيرها، والعالَمُ: اسْمٌ للفَلَك وما يحويه من الجواهر والأعراض، وأمّا جمعه فلأنَّ من كلِّ نوعٍ من هذه قد يُسمَّى عالَمًا، فيُقال: عالم الإنسان، وعالم الملائكة، وأمّا جمعُه جمع السَّلامة فلِكَون النّاس في جملتهم، والإنسانُ إذا شاركَ غيرَه في اللَّفظ غلَبَ حكمُه[1]، والأظهرُ في السياق أن يكون: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ مُرادا به الناسُ وما يعيشون معَه على ظهر هذه الأرض.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نجاة الأنبياء من ظُـلْـمِ أقوامهم بمعجزاتٍ إلهيَّة

يقول تعالى مُخبرًا عن إبراهيم ﷺ أنَّه سلَّمه اللّهُ من نار قومه، وأخْرجَه من بين أظهُرِهم مهاجرًا إلى بلاد الشّام، كما أنَّه تعالى نجَّى ابنَ أخيه لوطًا ﷺ من القرية الَّتي كانت تعملُ الخبائث، ما سبقهم بها من أحدٍ من العالَمين، وأخذ إبراهيمُ لوطًا معه إلى أرض الشّام[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ في ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾:

سُـنَّـةُ الـلـه هي إنـجـاءُ أنبيائه ونـصـرُهـم على عدوِّهم

جاء العطفُ في صدر الجملة في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ على ما قبله، وهو عطفُ نجاةٍ على نجاة، فالأولى نجاتُه من ضُرِّ النّار، والثّانيةُ نجاتُه من الحُلُول بين قومٍ عدوٍّ له كافرين بربِّه وربِّهم، وهي نجاةٌ من دار الشِّرك وفساد الاعْتقاد، فهما نجاتان تدلّان على عِظَم إبراهيمَ ﷺ خصوصًا وأنَّها سُنَّتُه مع أنبيائه ورسله عمومًا[3]، والقرنُ بينه وبينَ لوط في آية مستقلة يفيد أن ثمة مقصدًا للسورة يُؤدَّى بجميعِ قصص الأنبياء فيها مجموعة، لا بكلِّ واحدة منها على الاستقلال، وفي قصة إبراهيم إبراز للإله الواحد الأحد إبرازًا قويًّا؛ كما في الآيتيْن السّادسة والسّتين والسّابعة والسّتين.

(1) الرّاغب، المفردات: (علم).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 176، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4892.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 108.

تخصيصُ لوطٍ عليه السلام بالذِّكْر:

آمـــنَ لـــوطٌ بعـمّه إبراهيم وصدَّقه؛ فحقت له النَّجاة معه

خصَّص النَّظمُ الكريمُ نبيَّ الله لوطًا عليه السلام بالذِّكر؛ لأنَّه كان ابنَ أخي إبراهيمَ عليه السلام وصديقَه لكونه آمنَ به وصدَّقه، وأنَّه لمّا جاء الملائكةُ مُبشِّرين إبراهيمَ وامرأتَه بالولد؛ ذهبوا من عنده إلى لوط، فدكُّوا قريتَه دكًّا؛ لأنَّها كانت تعمل الخبائث ما سبقهم بها من أحدٍ من العالَمين، وأنَّه أخذه معه إلى الأرض المباركة[1].

سرُّ استعمال ﴿إِلَى﴾:

التَّضمين من ضروبِ الإيجاز العالية

يمكن أن يكون لاستخدام حرف ﴿إِلَى﴾ وجهان اثْنان: **الأوَّل:** أن يكون الفعلُ ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾ تعدَّى بـ ﴿إِلَى﴾؛ لأنَّه[2] ضُمِّن معنَى (أخرجْناه بنجاتِنا إلى الأرض)، **والثّاني:** أن يكون الفعل تعدَّى بها؛ لأنَّه ضمن معنى: (انتهى)؛ للدَّلالةِ على أنَّ هناك غايةً طويلة؛ فإنهما خرجا من أرض العراق إلى حران، ثم من حران ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

دلالة أل التعريف في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

الأرضُ المباركة هي أرضُ الشّام

تعريف كلمة ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ في قوله: ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا﴾ للعهد، أي: الأرض الَّتي صار إليها إبراهيمُ ولوط عليهما السلام وهي أرضُ الشّام، وبركتُها ما فيها من الخِصْبِ والأشجار والأنهار، وبُعث منها أكثرُ الأنبياء[4]، وخُصِّصت بالوَصْفِ في ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا﴾ للعلْم بها.

سرُّ الإسنادِ في: ﴿بَٰرَكْنَا﴾:

البركةُ من الله لا من أحدٍ سواه

في قولِه تعالى: ﴿بَٰرَكْنَا﴾ أُسنِدَ الفعل إلى (نا) الدّالةِ على عظمة الله ﷻ؛ لأنَّ البَركةَ من الله – لا من غيرِه – في خَلْقه وأرْضِه، فالبركةُ: وفْرةُ الخيرِ والنَّفع، وهما من خَلْق الله وحدَه ﷻ[5].

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 447، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4892.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 452.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 452، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 447.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 452.
(5) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 448، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 108.

نكتة إيثار ﴿فِيهَا﴾ على (حولها):

تخصيصُ التَّعدّي بحرفِ الجرّ ﴿فِيهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾؛ لأنَّ ﴿فِيهَا﴾ تفيد الظَّرفيَّةَ المكانيَّة أي: في الأرض المباركة، وهي أرضُ الشّام، فالبركةُ مُستوعبَةٌ لجميع أرضِ الشّام، أي: بما فيها من المياه الَّتي بها حياةُ كلِّ شيءٍ من الأشجار والزُّروع وغيرها، وما ظهرَ في أرضِها من الأنبياءِ الَّذين ملؤوا الأرضَ نورًا[1]، وهذا تصوير لما قد كان وثبت.

بـركـةُ أرضِ الشّام بما بُعث فيها من أنبياء وبما فيها من خيرات

إيثارُ لفظِ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ مادَّةً وصيغة:

آثر النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّ ظهورَ الأنبياء عليهم السلام من أرض الشّام كان نورًا للعالَمينَ من العراق إلى الشّام، ثمَّ امتدَّت شرائعُهم إلى غيرهم في بقاع الأرض، وكانت مكَّةُ للعرب حرمًا آمنًا تُجبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيء، وكانت كذلك للنّاس أجمعين؛ ففي بَطْحائها وُلِدَ خيرُ الخَلْقِ محمَّدٌ ﷺ وظهر[2]، وهذا العالَمُ بأكمله آلةٌ في الدَّلالةِ على صانعه، وكلُّ نوعٍ من أنواع العالَمينَ يُسمَّى عالَمًا، فبركةُ تلك الأرض بأنبيائها وخيراتها تعمُّ كلَّ العالَمين: عالَمَ الإنسانِ وغيره[3].

العالَمُ من خَلْقِ الله، ونورُ أنبياءِ الله وشرائعُهم عمَّ كلَّ العالَمين

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البركةُ والزّيادة:

البرَكةُ هي الزّيادةُ والنَّماءُ من حيث لا يُوجَدُ بالحسِّ ظاهرًا، فإذا عُهِدَ من الشَّيء هذا المعنَى خافيًا عن الحسِّ؛ قيل هذه برَكة، واشتقاقُها من البُروك، وهو اللُّزومُ والثُّبوت، لثبوتها في الشَّيء، ويوصَفُ بها كلُّ شيء لزمَه وثبتَ فيه خيرٌ إلهيٌّ، وليس لضدّها اسْمٌ

كلُّ بَرَكةٍ زيادة، وليس كلُّ زيادةٍ بَرَكة

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 578.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4893.
(3) الرّاغب، المُفردات: (علم).

معروف، فلذلك يُقال فيه: قليلُ البركة، ولا يُسنَدُ فعلُ البركةِ إلّا إلى الله، فلا يُقال: بارك زيدٌ في الشَّيء، وإنَّما يُقال: باركَ اللّهُ فيه[1].

والزّيادةُ أن ينضمَّ إلى ما عليه الشَّيءُ في نفسِه آخر، يُقال: زِدْتُهُ فازْداد، قال تعالى: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 65]، يُقال: زادَ مالُ فلان بما ورثه عن والده، ويُقال: ازْدَدْتُ فضلًا، أي: ازْدادَ فضلي، وهو من باب ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130]، وذلك قد يكون زيادةً مذمومة، كالزّيادة على الكفاية، وقد تكون زيادةً محمودة، نحو قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26]، وهي النَّظر إلى وجه الله الكريم، وقال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]؛ يعني زيادة معنويَّة وحسّيَّة[2].

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 96، والكفوي، الكلِّيّات: 1/ 431.

(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 97، 386، 551، والرّاغب، المفردات: (زيد)، والكفوي، الكلِّيّات: 2/ 409.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»